OPEN ACCESS
Received: 11 -07 -2025
Accepted: 06- 09-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

The Quranic Terms Denoting Reflection: A Contextual Study

Dr. Abdullah bin Mahmoud Fajjal *
Afajjal@ksu.edu.sa

Abstract:

This research examines the contextual meanings of the Quranic term *tafakkur* 'reflection' and its related expressions, highlighting the distinctive semantic and spiritual dimensions that characterize Quranic language. As one of the noblest acts of worship in Islam, reflection represents a profound intellectual and devotional practice. The study traces all occurrences of *tafakkur* and its synonyms throughout the Quran, comparing their contextual meanings to reveal linguistic transformations and conceptual depth. Structured into three sections—concept and methods, contextual semantics, and related terms—the research demonstrates that *tafakkur* linguistically signifies contemplation, reasoning, and remembrance, while in Quranic usage it encompasses reflection upon the self, the universe, divine revelation, and social laws. Various rhetorical strategies are employed to promote reflection, including commands, questions, oaths, and parables. The analysis identifies several related terms—such as *aql* 'reason', *nazar* 'observation', *ru'yah* 'vision', *tabassur* 'insight', *tadhakkur* 'remembrance', *tadabbur* 'contemplation', *tafaqquh* 'understanding', *and i'tibar* 'consideration'—and establishes their subtle distinctions and hierarchical relationship as stages of reflective thinking. The findings conclude that *ta'aqqul* 'rational comprehension' integrates all these stages as a central means for attaining understanding, emphasizing the Quran's holistic vision of intellectual and spiritual reflection.

Keywords: *Tafakkur* 'Reflection', Cosmic Signs, Contextual Semantics, *Ta'aqqul* 'Reasoning', *Tadhakkur* 'Remembrance'.

* Associate Professor of Grammar and Morphology, Department of Self-Development Skills, Deanship of the First Year Common Program, King Saud University, Saudi Arabia.

Cite this article as Fajjal, A. M. (2025). The Quranic Terms Denoting Reflection: A Contextual Study, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(4): 384 -403 https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2894

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/07/11م
تاريخ القبول: 2025/09/06م

الألفاظ الدالة على التفكر في القرآن الكريم: دراسة سياقية

د. عبد الله بن محمود فجَّال*
Afajjal@ksu.edu.sa

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل دلالات لفظة التَّفَكُّر ومشتقاتها، والنظائر اللفظية لها في القرآن الكريم، إذ للألفاظ القرآنية خصوصية دلالية تميزها عن المفردات العامة، ومن أبرزها ألفاظ التَّفَكُّر، ويُعدُّ التَّفَكُّر من أجلِّ الأعمال وأهمها في الشريعة الإسلامية، وهو من العبادات القلبية التي يُثابُ عليها المرء. وقد تتبع البحث مواضع ورود الألفاظ ومقارنة معانيها حسب السياق للكشف عن التحويلات اللغوية والاصطلاحية. وقد جرى تنظيم البحث في مقدمة وثلاثة مباحث، المبحث الأول: التَّفَكُّر: مفهومه وأساليبه، المبحث الثاني: الدلالات السياقية للفظة (التَّفَكُّر) في القرآن الكريم، المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على التَّفَكُّر في القرآن الكريم ومراتبها، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن لفظة التَّفَكُّر في اللغة تدل على إعمال العقل، والتَّدَبُّر، والتأمّل، وطول النَّظَر، والتَّذَكُّر والموعظة، وأن السياق القرآني أضفى عليها دلالات أوسع شملت: النفس، والآيات الكونية، وآيات الوحي، والسنن الاجتماعية. كما تنوّعت الأساليب البلاغية في الحث على التَّفَكُّر، مثل: الأمر المباشر وغير المباشر، والاستفهام، والقسم بالمخلوقات، وذمّ من يعطلون عقولهم، وضرب الأمثال. ومن أبرز النظائر اللفظية: العَقْل، والنَّظَر، والرؤية، والتَّبَصُّر، والتَّذَكُّر، والتَّدَبُّر، والتَّفَقُّه، والاعْتِبَار. وقد بيّنت الدراسة فروقًا دقيقة بينها، يمكن عدّها مراتب للتفكّر، يبدأ بالنظر ويصل إلى التفقّه، مع أن التَّعَقُّل جامع لها ووسيلة لإدراكها.

الكلمات المفتاحية: التَّفَكُّر، الآيات الكونية، الدلالات السياقية، التَّعَقُّل، التَّذَكُّر.

* أستاذ النحو والصرف المشارك، قسم مهارات تطوير الذات، عمادة السنة الأولى المشتركة، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: فجَّال، ع. م. (2025). الأَلفَاظُ الدَّالَّةُ على التَّفَكُّرِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ: دِرَاسَةٌ سِيَاقِيَّةٌ. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(4): 384- 403 https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2894

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة:

تقوم اللغة في جوهرها على العلاقة الوثيقة بين اللفظ والمعنى، وقد شكّلت الألفاظ محورًا رئيسًا لدراسات متعددة في مجالات اللغة والأدب والفقه والفلسفة، فضلًا عن العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى (عوض، وعكرمه، 2006، ص 157).

ومن بين هذه الدراسات تميّز الدرس الدلالي، قديمًا وحديثًا، باهتمام خاص بالمعنى اللغوي للألفاظ، حتى استقرَّ في العصر الحديث فرعًا مستقلًا من فروع علم اللغة. وقد أجمع اللغويون على أنّ الدال لا قيمة له من دون مدلول، وأن المدلول لا يتصوّر في غياب دالٍ يعبّر عنه، وهو ما يعكس الأهمية المحورية للعلاقة بين المبنى والمعنى في بناء الدلالة اللغوية (البديرات، 2023، ص 5).

ومن بين النصوص التي شكّلت ميدانًا خصبًا للدراسة الدلالية، يظلّ القرآن الكريم في طليعة المصادر التي تستدعي التأمل، لما تنفرد به ألفاظه من خصوصية لا تضاهيها ألفاظ أخرى. فاللفظ القرآني يأتي في موضعه بدقة متناهية، حاملًا من المعنى ما لا يمكن أن يؤدّيه غيره، الأمر الذي يكشف عن البنية المعرفية والبيانية الفريدة للنص القرآني، إذ تتآلف الحروف والألفاظ في نظام محكم، يحقّق انسجامًا بين المبنى والمعنى، ويؤدي وظيفة دلالية مخصوصة أرادها الله تعالى.

ومن بين الألفاظ القرآنية ذات الدلالات الخاصة تبرز ألفاظ **التَّفَكُّر**، إذ إن التَّفَكُّر من أجلّ أعمال القلوب، ومفتاح للهداية والأنوار، ومصدر للمعرفة والإرشاد. وقد أولى القرآن الكريم التَّفَكُّر ومجالاته عناية بالغة، إذ أُنزل ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾(الحديد: 9). ومن هنا كان الحثّ القرآني على التَّفَكُّر في النفس والآفاق، وفي سنن الكون والمجتمع، دعوةً صريحة لإعمال العقل واستنطاق آيات الله.

وقد جاء لفظ **العقل** في القرآن الكريم (49) مرة، وذُكر **الفكر (18)** مرة، **والتدبر (4)** مرات، **والنَّظَر (36)** مرة، **والفقه** (20) مرة، فضلًا عن ورود **السمع** (102) مرةً؛ وكلها ألفاظ متصلة اتصالًا مباشرًا أو غير مباشر بعملية التَّفَكُّر. وقد عزّزت السنة النبوية هذا التوجّه، مؤكدة مكانة التَّفَكُّر في الإيمان والعمل، كما في قوله ﷺ: «تفكّروا في كل شيء ولا تفكّروا في ذات الله» (لطبراني، 1995: 6/ 250، ح 6319).

وبناءً على ما تقدّم، فإن هذه الدراسة تسعى إلى تحليل ألفاظ التَّفَكُّر في القرآن الكريم تحليلًا دلاليًا سياقيًا، للكشف عن أبعادها المعرفية، واستجلاء نظائرها اللفظية ومراتبها، وفق خطة تقوم على المحاور الآتية:

1-تحديد الدلالات اللغوية للفظة (التَّفَكُّر) في القرآن الكريم، وتحليلها في ضوء السياق.

2-تتبع الألفاظ النظيرة للتفكر في القرآن الكريم ودراسة سياقاتها.

وتنطلق هذه الدراسة من التساؤلين الآتيين:

س1: هل تختلف دلالة لفظ (التَّفَكُّر) في القرآن الكريم باختلاف السياق الذي ترد فيه؟

س2: هل يشتمل القرآن الكريم على ألفاظ أخرى تحمل معنى (التَّفَكُّر) أو تتقاطع معه دلاليًا؟

وقد جرى تنظيم البحث في ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: التَّفَكُّر: مفهومه وأساليبه.

المبحث الثاني: الدلالات السياقية للفظة (التَّفَكُّر) في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على التَّفَكُّر في القرآن الكريم ومراتبها.

تليها الخاتمة التي تتضمن أبرز النتائج المتوصل إليها، ثم قائمة المصادر والمراجع.

أما عن **الدراسات السابقة** فشهدت المكتبة العربية عددًا من الدراسات التي تناولت موضوع التفكير والتَّفَكُّر في القرآن الكريم، غير أنّ أغلبها اتجه إلى المعالجة من زاوية أصولية أو تربوية، ولم يُعثر – بحسب ما وقفت عليه – على دراسة تناولت الألفاظ الدالة على التَّفَكُّر من منظور لغوي دلالي بحت. ومن أبرز تلك الدراسات:

1-خشمان حسن علي في دراسته الألفاظ الدالة على التفكير في القرآن الكريم (2005م)، التي قدّم فيها معالجة تحليلية لبعض الألفاظ الدالة على التفكير، مبرزًا قيمتها التربوية، إلا أنها لم تتعمق في مفهوم التَّفَكُّر بوصفه مصطلحًا قرآنيًّا مستقلًا.

2-محمد خازر المجالي في بحثه مصطلح التَّفَكُّر كما جاء في القرآن الكريم – دراسة موضوعية (2005م)، وقد ركّز على التَّفَكُّر بوصفه وسيلة لتعظيم الله وآياته، مع إظهار جانبه الجمالي والفني.

3- محمد بن زيلعي هندي في بحثه مفهوم التَّفَكُّر في ضوء القرآن – دراسة في المصطلح القرآني (2008م)، المنشور في مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد (2)، وقد تناول التَّفَكُّر بوصفه عملية قلبية وجدانية قبل أن تكون عقلية، مؤكّدًا أثر القرآن في ترسيخ هذا المفهوم.

4-عبد الوهاب محمود إبراهيم خنايشة في رسالته للماجستير التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم (جامعة النجاح الوطنية) (2009م)، إذ عالج التفكير بوصفه عملية عقلية، وسعى إلى استنباط القواعد القرآنية التي تسهم في تنمية التفكير.

5-إسماعيل حسني في كتابه الاختلاف والتفكير في القرآن الكريم (2015م)، إذ ركّز على العلاقة بين التفكير والوعي بالاختلاف، مقسمًا بحثه على قسمين: التفكير في مقاصد القرآن، والتفكير في مفاهيمه، مقدّمًا مدخلًا نظريًا لفهم كيفية تعاطي القرآن مع المفاهيم المركبة.

وعند الموازنة بين هذه الدراسات، يظهر أن كلًّا منها ربط مفهوم التفكير بجانب تخصصه؛ فمنها ما اتجه إلى المجال التربوي، ومنها ما اهتم بالجانب العقدي أو الأصولي، ومنها ما أبرز الأبعاد القلبية أو الجمالية. غير أنّها لم تُعالج ألفاظ التَّفَكُّر في القرآن الكريم معالجة لغوية دلالية سياقية تتتبع حضورها في النص القرآني، وتبرز خصوصية كل لفظ وسياقه.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسدّ هذا النقص، من خلال تناول ألفاظ التَّفَكُّر في القرآن الكريم دراسةً استقرائيةً دلاليةً، تعتمد تحليل السياق وإبراز الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي قد يُظن ترادفها، مثل: النَّظَر، والتدبر، والتَّعَقُّل، والتَّفَقُّه. وتسعى إلى الكشف عن العلاقات السياقية التي تربط هذه الألفاظ ببنية النص القرآني، مع بيان أبعادها البلاغية والأسلوبية، وتحليل صيغها الصرفية ودلالاتها المقامية.

إلى جانب ذلك، تقدّم هذه الدراسة معالجة إحصائية لورود لفظ التَّفَكُّر في القرآن الكريم، وربطه بسائر الألفاظ النظيرة، لإبراز مراتب التفكير ودرجاته، من التفكير الظاهري المباشر إلى التفكير الباطني العميق، في سياق يشمل النفس الإنسانية، والآيات الكونية والتنزيلية، والسنن الاجتماعية، وبذلك تُبرز الدراسة الطابع الشمولي لمفهوم التَّفَكُّر القرآني وأثره في بناء الوعي العلمي والمعرفي.

المبحث الأول: التَّفَكُّر: مفهومه وأساليبه

المطلب الأول: مفهوم التَّفَكُّر في اللغة والاصطلاح

المفهوم اللغوي لـ (التَّفَكُّر):

تأتي لفظة التَّفَكُّر على وزن (تَفَعُّل) من الفعل: «فَكَّرَ، وأفكرَ، وتفكَّرَ إفكارًا وتفكيرًا وتفكرًا»، وقد وردت في معاجم اللغة بتعريفات متقاربة تشير جميعها إلى إعمال العقل والتأمل.

قال ابن منظور: «الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشّيء؛ قال سيبويه: ولا يُجمعُ الفكرُ ولا العلمُ ولا النظرُ..، وقد فكر في الشّيء وأفكر فيه وتفكّر بمعنًى. ورجُلٌ فكّير، مثالُ فسّيق، وفيكر: كثيرُ الفكر..، والتَّفَكُّر اسمُ التّفكير. ومن العرب من يقُولُ: الفكرُ الفكرة، والفكرى على فعلى اسمٌ، وهي قليلةٌ...، والتَّفَكُّر: التأمل، والاسمُ الفكرُ والفكرة، والمصدرُ الفكر، بالفتح..، يُقالُ: ليس لي في هذا الأمر فكرٌ أي ليس لي فيه حاجةٌ» (ابن منظور، 1374: 5/65).

وتدل كلمة التَّفَكُّر على التردد، قال ابن فارس: «(فَكَرَ) الفاءُ والكافُ والرَّاءُ تَرَدُّدُ القَلبِ في الشَّيْءِ. يُقَالُ تَفَكَّرَ إذا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِرًا» (ابن فارس، د.ت: 4/ 446).

وجاء في المصباح المنير: «الفِكْرُ بِالكَسْرِ تَرَدُّدُ القَلْبِ بِالنَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ لِطَلَبِ المعَانِي. وَلِي فِي الأَمْرِ فِكْرٌ أَيْ نَظَرٌ وَرَوِيَّةٌ» (الفيومي، د.ت: 2/ 479).

وجاء في «تاج العروس»: «الفِكْر، بالكسر، ويُفتح: إعمالُ النَّظَر... وقال سيبويه: ولا يجمعُ الفِكْرُ ولا العلمُ ولا النَّظَرُ. وقد فَكّرَ فيه، وأَفْكَرَ، وفَكَّرَ تَفْكِيرًا وتَفَكَّرَ، وفي استعمالِ العامَّة: افْتَكَرَ، والمعنى: تَأَمَّل. وهوَ فكِّيرٌ، كسِكِّيت، وفَيْكَرٌ، كصَيْقَل: كثير الفِكْرِ» (الزبيدي، د.ت: 13/ 345).

ومن خلال هذه التعريفات يتضح أن لفظة التَّفَكُّر تدل في أصلها اللغوي على: إعمال العقل، وإطالة النَّظَر، والتأمل والتدبر، بما يقود إلى التَّذَكُّر والاعْتِبَار والموعظة.

المفهوم الاصطلاحي لـ (التَّفَكُّر):

تناول العلماء مفهوم التَّفَكُّر بتعريفات متعددة تلتقي في كونه نشاطًا عقليًّا يهدف إلى إدراك الحقائق، فقد عرّف الجرجاني التَّفَكُّر بأنه: «تصرُّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب» (الجرجاني، 1985: 111).

أما (الراغب الأصفهاني) فقد عرفه بقوله: «الفكرة قوةٌ مُطرِقة للعلم إلى المعلوم، والتَّفَكُّر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا رُوي: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله، إذ كان اللهُ منزهًا أن يوصف بصورة» (الراغب الأصفهاني، 1412، ص 384).

وبناءً على هذه التعريفات، يمكن النَّظَر إلى التَّفَكُّر على أنه إعمال منظّم للعقل، وتوجيه واعٍ للحواس نحو أمرٍ معين، سواء لحل مشكلة، أو لاكتشاف مجهول، أو لفهم حقيقة قائمة. فهو عملية عقلية استقرائية تنقل الإنسان من المجهول إلى المعلوم، ومن الغموض إلى الوضوح.

أما في الاستعمال القرآني، فإن التَّفَكُّر يتجاوز هذا الإطار العام ليُصبح أسلوبًا بلاغيًّا دقيقًا يستنهض طاقات الإنسان العقلية والوجدانية معًا، ويدعوه إلى التأمل العميق وصولًا إلى اليقين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ (سبأ:46).

وهو أسلوب قرآني لاستدعاء المخاطب إلى فضل التَّفَكُّر، أي: قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تتفكروا في حال صاحبكم رسول الله ﷺ وفيما

نسب إليه، فما به من جنون، وما هو إلا مخوّف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها (نخبة من أساتذة التفسير، 2009: 1/ 433).

وهو أسلوب لغوي بلاغي يُؤمَرُ من خلاله المكذبون المعاندون بوجوب التّفكّر والتأمل في حر جهنم لعدم تصديقهم لرسوله الكريم.

يرجع لفظ **التّفكّر** إلى الجذر الثلاثي (ف-ك-ر)، وقد ورد في اللغة العربية بصيغ صرفية متعددة للدلالة على التدبر وإعمال العقل. وتبرز هذه الصيغ في القرآن الكريم بأشكال فعلية ومصدرية تعكس أهمية العملية العقلية في استيعاب الحقائق وفهم آيات الله.

المطلب الثاني: أساليب القرآن الكريم في الحث على التّفكّر

تنوّعت أساليب القرآن الكريم في الحث على التّفكّر، وجاءت على صور متعددة، من أبرزها:

1- أسلوب الاستفهام الاستنكاري التعجبي

ومن صيغه: ألم تر، أولم يروا، ألم يروا، أولم ير، أولم ينظروا، أفلا ينظرون، أولم يتفكروا، أفلا تتفكرون، نذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾(النور: 43)، وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾(النحل: 79)، وقوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾(الأنعام: 50)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾(الأعراف: 184).

وقد ارتبط هذا الأسلوب بألفاظ التّفكّر والنّظر والرؤية، للدلالة على عظمة الله تعالى وقدرته البديعة، وهو استفهام غرضه إلزام المخاطَب بالإقرار بما يعرفه من دلائل الخلق والإبداع، والحث على التّفكّر فيها.

2- ذم الذين لا يتفكرون:

جاء القرآن بذمّ من عطّلوا عقولهم وحواسهم، فوصفهم بالعمى والصمم والبكم بل جعلهم أضل من الأنعام قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾(الأنفال: 22)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾(الحج: 46)؛ وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾(الأعراف: 179). فالنظر بلا اعتبار، والسمع بلا تدبر، والسير بلا تفكر، لا يُنتج معرفة ولا هداية.

3- أسلوب ضرب الأمثال:

ومن أعظم أساليب القرآن في الحث على التّفكّر **ضرب الأمثال** للحث على التّفكّر؛ إذ إن ضرب الأمثال من الأساليب التي تشحذ النفوس وتدفعها إلى التفكير في معطيات تلك الأمثال، فقد استدعيت ملكة التّفكّر لتنشط فيما ضرب للحياة الدنيا من مثل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾(يونس: 24).

وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت به، وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر إذ إنَّ كل شيء فانٍ حقير وإن طالت مدته، وصغير وإن كبر قدره (الرماني، 1976، ص83).

ولا شكّ أنّ اكتشاف العلاقة بين المشبّه والمشبّه به أمر دقيق المسلك، وليس الوصول إليه ممكنًا إلا بعد تفعيل ملكة التَّفَكُّر عنده، وتنشيطها للوقوف على سرعة انقضاء هذه الحياة، وما يترتب على ذلك.

المبحث الثاني: الدلالات السياقية للفظة (التَّفَكُّر) في القرآن الكريم

جاءت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو ثمانية عشر موضعًا، أكثرها في السور المكية، وتنوّعت صيغها على النحو الآتي:

اللفظ	العدد
يَتَفَكَّرُون	13 مرة
يَتَفَكَّرُوا	3 مرات
تَتَفَكَّرُوا	مرة واحدة
فَكَّرَ	مرة واحدة

ويُستفاد من هذا الاستعمال القرآني أن لفظة (**التَّفَكُّر**) لم تُذكر على سبيل العموم فقط، وإنما ارتبطت بسياقات خاصة، تحمل دلالات ومعاني دقيقة. ويمكن تصنيف هذه الدلالات في أربعة محاور رئيسة:

المطلب الأول: التأمل والتدبر في حال النفس:

من السياقات القرآنية التي وردتْ فيها لفظة (**التَّفَكُّر**): التأمل والتدبر في حال النفس، وإعمال العقل والتفكير في أحوالها.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الروم: 21)، فقد وضحت الآية الكريمة أن الأزواج خلقن من أنفس البشر، وكثير من فسره بأنهنّ خُلِقْنَ من ضلع آدم تبعًا لحواء أُمهن، والسبب في خلق الأزواج؛ ليكون بينهم مودة ورحمة فيأنس بها، ثم يأمرنا القرآن الكريم بالتَّفَكُّر في قصة خلق الأزواج، ثم يطالبنا الله بالتَّفَكُّر في ذلك حتى نعلم أن قوام الدنيا بوجود التناسل، وقدرة الله على التصرف بالقلوب (النسفي، د.ت: 2/ 695).

والتَّفَكُّر هنا هو طلب المعنى من الأشياء فيما يتعلَّق بالقَلبِ.

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (الزمر: 42).

قال ابن عباس: «يقبض أرواحكم في منامكم» (الواحدي، 1430: 281/2)، قال أبو إسحاق: «معنى: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ أي: ينيمكم فيتوفى نفوسكم التي بها تميزون كما قال جل وعز: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ (الزمر: 42) (الزجاج، 1994: 2/ 257)، فالله -جلَّ وعز- يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت (الواحدي، 1430: 8/ 575).

وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما– أنه قال: «إنَّ في ابن آدم نفسًا وروحًا، بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس هي التي بها العقل والتمييز، والروح هي التي بها التنفُّس، والتحرك، فيتوفَّيان معًا عند الموت، ونتوفى النفس وحدها عند النوم» (الواحدي، 1430: 8/ 575).

وتمثل هذه الآية صورتين عجيبتين من صور قدرة الله - تعالى - على الخلائق، صورة تحدث لكل حيٍّ مرة واحدة ولا تتكرر، وهي الموت عند انتهاء الأجل، وصورة تتكرر مع الحياة وتلازمها، وهي النوم في جميع حالاته وأوقاته: فهذا هو مضمون قوله - تعالى -: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا... ﴾ الآية.

والمعنى: اللهُ **يتوفَّى الأرواحَ** ويسيطر عليها حين موتها وحين نومها، فيمسك التي قضى عليها الموت ويقطع صلتها بالبدن، ويرد النفس الأخرى النائمة التي منعها عن التصرف وقت نومها ولم يحن أجلها - يرد تصرفها إلى بدنها فتحصل اليقظة بسبب ذلك، ويجرى ذلك عليها إلى أجل مسمى هو انتهاء عمرها (الواحدي، 1430: 8/ 575).

ثم يختم الله -عز وجل- الآية بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: إن في ذلك التصرف العجيب، والنمط الغريب الذي يجرى على نفوس الخلائق، ويتكرر في حاليه بينهم، وتحت أبصارهم، وأسماعهم، لآيات بالغات، وشواهد بيّنات دالات على بليغ قدرة الله - تعالى - ودقة حكمه، فالقوم يتفكرون في كيفية تعلق النفس بالأبدان، وتوفّيها عنها تارة بالكلية عند الموت، واستبقائها عند الله بين السعادة والشقاوة، وتوفّيها تارة أخرى توفيا ظاهرا عند النوم، وإرسالها إلى البدن ليعود إلى نشاطه، حتى يحين أجلها (الواحدي، 1430: 8/ 575).

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ (الروم: 8)، فلمَّا بيَّن –عز وجل- أنَّ أكثر النَّاس وهم الكفار لا يعلمونَ، ثمَّ ذكر أنهم يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا، وهم غافلون، أنكر عليهم غفلتهم عن الآخرة، مع شدة وضوح أدلتها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ....﴾ الآية، والتَّفكُّر: التَّأمُّلُ والنَّظرُ العقليُّ، وأصله إعمالُ الفكْرِ، والمتأخرون يقولونَ: الفِكْرُ في الاصطلاحِ حركةُ النَّفس في المعقولاتِ، وأمَّا حركتُها في المحسُوسات فهو في الاصطلاح تخييلٌ (الجكني، 1995: 6/ 168).

أو لم يحدثوا التَّفكُّر فيها أو لم يتفكروا في أمر أنفسهم فإنّها أقرب إليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات بأسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها مثل قدرته على إبدائها (البيضاوي، د.ت: 5/ 451).

المطلب الثاني: التأمل والتدبر في الآيات الكونية

وردت لفظة « التَّفكُّر» في سياقات قرآنية تدل على التَّفكُّر في الآيات الكونية، وإطالة النظر فيها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (يونس: 24). حيث جاء لفظ (التَّفكُّر) هنا بمعنى إطالة النظر في الآيات الكونية، التي فصَّل اللهُ بعضًا منها في كتابه.

وسياق الآية: أنَّ الله –عز وجل- يصف لنا الحياة الدنيا وما نتفاخر به من زينة وأموال، كمثل المطر المنزل من السماء إلى الأرض، إذ تنبت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر حُسْنُ هذه الأرض وبهاؤها، وظنَّ أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمر الله وقضاؤه بهلاك ما عليها من النبات والزينة، إما ليلا وإما نهارًا، فجعلنا هذه النباتات والأشجار محصودة مقطوعة لا شيء

فيها، كأن لم تكن تلك الزروع والنباتات قائمة قبل ذلك على وجه الأرض، فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهَون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها الله ويهلكها. وكما بيَّنا لكم -أيها الناس- مَثَلَ هذه الدنيا وعرَّفناكم بحقيقتها، نبيّن حججنا وأدلتنا لقوم يتفكرون في آيات الله، ويتدبرون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة (نخبة من أساتذة التفسير، 2009: 1/ 211).

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ (الرعد: 3).

توضح الآية الكريمة أن الله -عز وجل- بسط الأرض ليثبت عليها الأقدام ويتقلب الحيوان، ثم جعل فيها جبالًا تُثَبِّتُ الأرض، ثمَّ أجرى بينها الأنهار، ثم جعل في الأرضِ من كل ذكرٍ وأنثى اثنينِ، ثم يُغْشِي اللَّيل النَّهَارَ أي يلبسه مكانه فيصير الجو مظلمًا بعدما كان مضيئًا، وخصَّ المتفكرين لأَنَّ ما احتوتْ عليهِ هذه الآياتُ من الصَّنِيعِ العجيبِ لا يُدْرَكُ إلا بالتَّفَكُّر (البيضاوي، د.ت: 4/ 58؛ أبو حيان الأندلسي، د.ت: 6/ 348).

المطلب الثالث: التأمل والتَّفَكُّر في الآيات المنزلة

من السياقات القرآنية التي وردت فيها لفظة «التَّفَكُّر» دلالة التأمل في الآيات المنزلة، وما فيها من أحكامٍ وتشريعاتٍ وآداب وأخلاق.

من ذلك قوله تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ (النحل: 44)، فالله –عز وجل- أرسل لهم البينات والزبر وهي كتب الأنبياء والمعجزات والقرآن الكريم حتى يتبين للناس الحلال والحرام وبقيم الحجة عليهم، ويتأملوا فيه فينتهوا للحقائق (البيضاوي، د.ت: 4/ 190).

فجاءت لفظة «التَّفَكُّر» هنا بمعنى التأمل والتدبر في الآيات المنزلة وما أنزل معها من أحكام وتشريعات.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ (الحشر: 21) فالله- جلَّ جلاله- لو جعل هذا القرآن على جبل بقسوته لتشقق من خشية الله تعالى خوفًا ألا يؤدي حقه في تعظيم القرآن الكريم، والغرضُ توبيخ الإنسانِ على قسوةِ قلبِهِ، وعدم تأثُّرِه بهذا القرآن الذي إذا أُنزِل على الجبل تخشَّع وتصدَّعَ. فإذا كانَ الجبلُ على عظمه وتصلُّبِهِ يعرِضُ له الخشوعُ والتَّصدُّعُ، فابن آدم كان أولى بذلك، لكنَّهُ على حقارته وضعفه لا يتأَثَّرُ (أبو حيان الأندلسي، د.ت: 10/ 148).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ (البقرة: 219)، إذ يبين الله – تعالى – في هذه الآية حكم تعاطي الخمر وحكم القمار، إذ بين أنَّ فيها أضرارًا ومفاسد كثيرة في الدين والدنيا، والعقول والأموال، وفيهما منافع للناس من جهة كسب الأموال وغيرها، وإثمهما أكبر من نفعهما؛ إذ يصدَّان عن ذكر الله، وعن الصلاة، ويوقعان العداوة والبغضاء بين الناس، ويتلفان المال. وكان هذا تمهيدًا لتحريمهما. ويسألونك عن القَدْر الذي ينفقونه من أموالهم تبرعًا وصدقة، قل لهم: أنفقوا القَدْر الذي يزيد على حاجتكم، ثم يأمرنا الله – جلَّ جلاله – بالتأمل وتفكر الدلائل والأحكام ليتبين لنا الحلال والحرام ليعيدكم بذلك إلى التفكير الواعي البصير في أمر الدنيا والآخرة فتعملون لدنياكم على حسب حاجتكم إليها وتعملون لآخرتكم التي مردكم إليها وبقاؤكم فيها على حسب ذلك (البيضاوي، د.ت: 1/ 38؛ الجزائري، 2003: 1/ 202).

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾(آل عمران: 191)، إذ يتضح أن التَّفَكُّر في خلق السَّماوات والأَرضِ هو أفضل العبادات كما قال ﷺ: «لا عبادة كالتَّفَكُّر» (المناوي، 1409: 1/ 443)، لأنّه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق» وعنه ﷺ: «بينما رَجلٌ مستلق عَلَى فرَاشه إِذْ رفع رَأسه فَنظر إِلَى السَّمَاء والنجوم فقال: أشهد أَن لَك رَبًّا وخالقًا اللَّهُمَّ اغْفِر لي»(المناوي، 1409: 1/ 444). وهو دليل على أثر التفكُّر في دلالة العقل والفطرة على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ على إرادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك، وهذا إشارة إلى المُتَفَكَّرِ فيه أي: الخلق على أنّه أُريدَ به المخلوق من السماوات والأرض أو إليهما؛ لأنهما في معنى المخلوق، والمعنى ما خلقته عبثًا ضائعًا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدًا لوجود الإنسان وسببًا لمعاشه ودليلًا يدله على معرفتك ويحثّه على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية في جوارك (البيضاوي، د.ت: 2/ 89).

وقد جاءت هذه الآية لتعريف من هم أولو الألباب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾(آل عمران: 190). إذ تشير الآية إلى أن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آياتٍ باهرة على قدرة الله وحكمته، ولكن هذه الآيات لا يدرك حقيقتها إلا أهل اللبّ، وهم أصحاب العقول الناضجة والقلوب المتفكّرة.

ثم بيَّنت الآية أن أهل اللبّ هم الذين اجتمع لديهم الذكر والتفكّر، فيثمر ذلك دعاءً صادقًا يليق بجلال الله تعالى، أي أن أعمالهم وفكرهم وذكرهم تنعكس على دعائهم الذي يجمع قضايا الإيمان والخير كلها، ويظهر فيه وعيهم بعظمة الله وقدرته وإدراكهم أن الله هو المعطي الخالق (حوى، 1424: 2/ 963).

المطلب الرابع: التأمل والتدبر في السنن الاجتماعية:

من السياقات التي وردت فيها لفظة « التَّفَكُّر» دلالة التأمل في السنن الاجتماعية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ (الأعراف: 176)، إذ أمر الله – عز وجل– الرسول ﷺ أن يقصص على أمته خبر رجل من بني إسرائيل يقال له: (بلعم بن باعوراء) إذ أعطيناه حججنا وأدلتنا، فتعلَّمها، ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره، فاستحوذ عليه الشيطان، فصار من الضالين الهالكين، بسبب مخالفته أمر ربه وطاعته الشيطان.

ولو شاء الله – عز وجل- أن يرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعل، ولكنه رَكَنَ إلى الدنيا واتبع هواه، وآثر لَذَّاته وشهواته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره.

فمثلُ هذا الرجل مثل الكلب إن تطرده أو تتركه يُخْرج لسانه في الحالين لاهثًا، فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدْتَ في دعوتك له أو أهملته، هذا الوصف -أيها الرسول- وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، ثم يأمر الله – جل جلاله – الرسول ﷺ أن يقصص أخبار الأمم الماضية، فبذلك أعظم معجزة، لعل قومك يتفكرون ويتدبرون فيما جئتهم به فيؤمنوا لك.

فالتَّفَكُّر هنا بمعنى التأمل والتدبر وصولًا للطريق الحق والصواب، والإيمان بالله تعالى (الواحدي، 1994: 1550/3؛ البيضاوي، د.ت: 148/3).

يتضح مما سبق أن القرآن الكريم استعمل لفظة (التَّفَكُّر) في سياقات متنوعة، لكن يجمعها مقصد واحد، وهو تحريك العقل والقلب للنظر في دلائل القدرة والوحدانية، سواء في النفس، أو في الكون، أو في الوحي، أو في مصائر الأمم. وبهذا يوجّه القرآن ملكة التَّفَكُّر لتكون سبيلًا إلى الإيمان الحق، والعمل الصالح، والاعْتِبَار بمصارع الغابرين.

المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على التَّفَكُّر في القرآن الكريم ومراتبها

المطلب الأول: الألفاظ الدالة على التَّفَكُّر في مواضع القرآن الكريم

من مظاهر إعجاز القرآن الكريم اختيار الألفاظ المناسبة للمقام، فكل كلمة في القرآن الكريم جاءت لتدل على معنى محدد مقصود، ولا يمكن أن يستبدل مكانها لفظة أخرى، فهناك فروق واضحة بين الألفاظ قد يُظَنُّ أنها مترادفة، ولا سيما أنها تكون في المجال نفسه إلا أنها تؤدي معنى مختلفًا مناسبًا للسياق الذي جاءت فيه.

وقد رصد صلاح معمار (معمار، 2006، ص 27؛ خناشية، 2006، ص 31) الآيات التي تدعو إلى التفكير ونظائرها في القرآن الكريم على النحو الآتي:

الآيات التي تدعو إلى	تكرار الكلمة وجذورها	عدد الآيات	عدد السور
التَّفْكِير	18	16	13
التَّعَقُّل	49	50	30
التَّذَكُّر	292	279	71
التَّبَصُّر	184	142	62
النَّظَر	129	113	48
التَّدَبُّر	4	4	4
التَّفَقُّه	20	20	12
الرؤية	345	339	90
المجموع	1041	963	

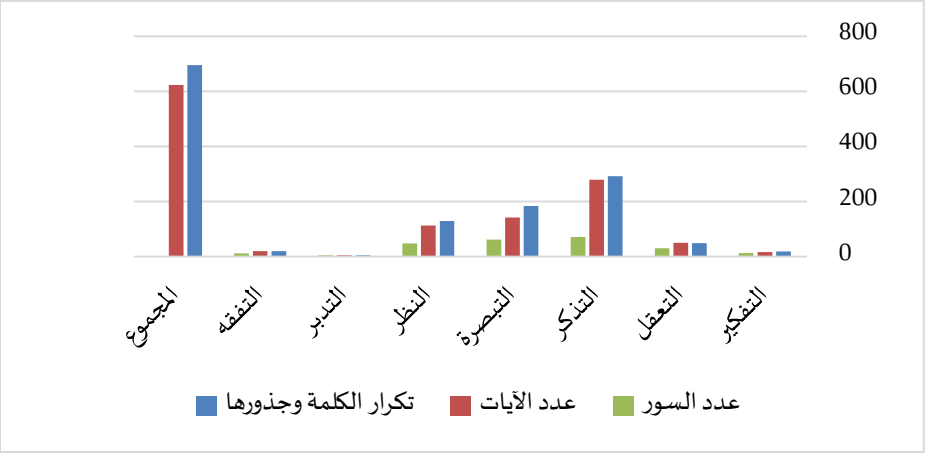

توضح هذه الإحصائية كثرة تنوع ألفاظ التَّفَكُّر ومراتبها في القرآن الكريم، بدءًا من الاستحضار الذهني (التَّذَكُّر) والتأمل العقلي (التَّعَقُّل) وصولًا إلى التعمق الفقهي والمعرفي (التَّفَقُّه)، بما يعكس حرص القرآن على توجيه الإنسان نحو التفكير والتدبر واستخلاص العبر في شتى مجالات الحياة. ونستعرض فيما يأتي الألفاظ المرادفة للتفكر في القرآن الكريم:

1- لفظ (العَقْل) ومشتقاته

يشير لفظ التَّعَقُّل إلى «القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستقيده بتلك القوة عقل» (الراغب الأصفهاني، 1412، ص 342)، إن المتأمل لآيات القرآن الكريم ليجد أن جميع اشتقاقات (العَقْل) وردت بالصيغة الفعلية دون الصيغة الاسمية، فلا نجد أن القرآن الكريم استعمل المصدر ولا الاسم (عَقْل)، ولا اسم الفاعل (عَاقل أو عاقلون) ولا اسم المفعول (مَعْقُول)، ويمكن تفسير هذا الأمر بأنَّ القرآن الكريم بهذا الاستعمال يلفت النظر إلى مفهوم العَقْل بوصفه فعلًا إنسانيًا يطلب إعماله في عدد من القضايا العقدية والعلمية بالتفكر والتأمل واتخاذ القرارات المناسبة للإنسان، وعدم استعمال الصيغ الاسمية ينفي عن العَقْل صفة الثبات وصفة المطلق التي ألصقها به الفلاسفة حين اعتقدوا بأن العَقْل جوهر، فالعَقْل في المنظور القرآني فعل إنساني نسبي ومتغير، ومن ثم جاء نفي صفة العَقْل عن أصناف من الناس: كفارًا ومشركين ومنافقين وأهل كتاب. وتجدر الإشارة إلى أن الآيات التي وردت فيها لفظ (العَقْل) قد بلغت 49 مرة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم (حقي، د.ت: 5/ 17).

ويبين ذلك تنبيه القرآن الكريم وتأكيده على إعمال العَقْل في كثير من القضايا ولا سيما العقدية والعلمية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾(البقرة: 164)، فالمتأمل في الأحداث التي ذكرتها الآية الكريمة تدعو إلى التَّفَكُّر في خلق الله وعظمته، ومن ذلك الآيات التي حضت على استعمال العَقْل للتوصل إلى حقيقة الدين وطبيعة النبوة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾(يوسف: 109).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾(الصافات: 137- 138): أي أتشاهدون ذلك فلا تتدبرون ولا تتفكرون ولا تعقلون حتى تعتبروا وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم، وينزل بكم ما نزل بهم، فإن منشأ ذلك مخالفتهم رسولهم، وأنتم في مخالفتكم لرسولكم تفعلون مثل فعلهم(الواحدي، 1994: 447/8).

ومنه كذلك موضع آخر يقول فيه تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾(الأنبياء: 10) إذ تدعو الآية الناس لاستعمال عقولهم في فهم ما أنزل الله، وعدم الغفلة عن معانيه الباطنة. ومن لم يتدبر كلام الله، فقد انقطع عن الاستفادة العقلية والروحية، وغلبه الانشغال بما لا ينفع (الخوض)، وهو من لوازم الغفلة التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب الخطأ والضرر، إذ إن التدبر هو سبب سلامة الفعل ووعي الإنسان لعواقب الأمور (الرازي، 1421: 22/ 122).

من خلال ما سبق، يتَّضِحُ أنَّ **(العَقْل)** هو الوسيلة التي يتوصَّلُ بها إلى العِلْمِ والتَّذَكُّر والتَّفَقُّهِ والتَّفَكُّرِ...، وأنَّ لَفْظَةَ «التَّعَقُّل» من النَّظَائِرِ اللفظية للفظة «التَّفَكُّر» في القُرآنِ الكريم.

2- لفظ (النَّظَر) ومشتقاته

من النظائر اللفظية للفظة «التَّفَكُّر»: «النَّظَر» ومشتقاتها، ويُقصد بالنظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، و(نَظَرَ) إلى الشيء نَظَرًا: أبصره وتأمَّلَهُ بعينه، وفيه: تدبَّرَ وفكَّرَ (مجمع اللغة العربية، 1989: 3/ 173)، وقد يراد به التأمل والفحص (مجمع اللغة العربية المصري، 1393: 2/ 931)، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية.

لقد دعا القرآن إلى النظر في مئة وثلاث عشرة آية جاءت على معانٍ مختلفة منها: النظر بمعنى نظر العين، أي: الرؤية وبمعنى الانتظار، وما يهمنا في بحثنا هو النظر الذي يقوم على الفحص والتأمل والتَّبَصُّر بحقائق الوجود. كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾(عبس: 24) أي: فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، ومنه قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾(الطارق:5) أي: (فلينظر الإنسان) نظر اعتبار (مم خلق) من أي شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾(الأعراف: 185) أي: أولم يتدبر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله العظيم وسلطانه القاهر في السموات والأرض، وما خلق الله -جلَّ ثناؤه- من شيء فيهما ويعتبرون به. إلى غيرها من الآيات التي تدعو إلى التدبر والتفكر بلفظ (النظر).

كما جاءت الدعوة إلى النظر بصيغة الأمر (أُنْظُر) وأحيانًا بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر (فَلْيَنْظُر)، ووجه الخطاب للفرد والجماعة.

3- لفظة (الرؤية) ومشتقاتها

من النظائر اللفظية لـ(التَّفَكُّر): لفظ الرؤية ومشتقاتها، التي تقع في القرآن الكريم بعد الاستفهام الإنكاري أو التقريعي كـ: «ألم تر، أولم يروا، ألم يروا، أولم ير» وفيها وجهان: أحدهما: أنه من رؤية العين. والثاني: أنه من رؤية القلب يعني العلم (الرازي، 1421، ص 3397).

من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾(النور: 43)، أي: ألم تعلم أن الله يسوق سَحابًا إلى حيث يريد ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ أي يجمع بين قطع السحاب المتفرّقة بعضها إلى بعض.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (النحل: 79)، أي: ألم ينظر المشركون إلى الطير مذللات للطيران في الهواء بين السماء والأرض بأمر الله؟ ما يمسكهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خَلَقه لها، وأقدرها عليه. إن في ذلك التذليل والإمساك لَدلالات لقوم يؤمنون بما يرونه من الأدلة على قدرة الله.

فنلاحظ في الآيتين السابقتين أن الرؤية تدل على التَّفَكُّر المفضي إلى العلم.

4- لفظ (التَّبَصُّر) ومشتقاته

وردت مادة (بصر) في القرآن الكريم 184 مرة في 142 آية، والتَّبَصُّر وظيفة من الوظائف العقلية، وليس البصر بمعنى نظر العين بل هو البصيرة العقلية، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (السجدة: 27) فهذه دعوة إلى النظر والتَّبَصُّر في واقع مشاهد أمام العين، فقيمة البصر بقدر ما يؤدي إلى البصيرة العقلية، إذ نعى الله على الذين لا ينتفعون بحواسهم، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾(الأعراف: 179) (خناشية، 2006، ص 31).

5- لفظ (التَّذَكُّر) ومشتقاته

يرتبط التَّذَكُّر بالذاكرة، وهي «قدرة الشخص على استرجاع ما زال من معلومات» (الكفوي، 1998: 1/ 89)، وقد وردت مادة التَّذَكُّر 292 مرة في 279 آية. وجاءت بصيغة الفعل الماضي (ذِكر)، والمضارع (تَذَكّر)، والأمر (أُذْكُر)، وجاءت بصيغة الجمع والإفراد والتأنيث والتذكير كما جاءت بصيغة اسم المصدر (ذِكْر)، (وَذِكْرَى)، و(تَذْكِرَة). كما وردت بصيغة اسم الفاعل (الذَّاكِرِين) و(الذَّاكِرَات)، و(مُذَكّر) (خناشية، 2006، ص 21).

إنه عملية استحضارية لما يحفظه الإنسان من المعرفة، وقد لا يكون عن نسيان، بل عن إدامة حفظ، وأشار القرآن الكريم إلى التَّذَكُّر بوصفه عملية عقلية، وسمة من سمات أولي الألباب، وكثر استخدامها في سياق الحديث عن الأمثال، أو ما حلَّ بالأمم السابقة، أو عند الحديث عن الابتلاء والفتنة فلا بدَّ من أخذ العبرة، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾(الرعد: 19)، ومنه قوله تعالى: ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾(إبراهيم:25) أي: ليتفكروا وليتدبروا ويتعظوا.

6- لفظ (التَّدَبُّر) ومشتقاته

نقول تدبَّرَ في الأمر، أو يتدبَّر، تَدبُّرًا، فهو مُتدبِّر، والمفعول مُتَدَبَّر، وتدبَّر الأَمرَ، تدبَّر في الأمرِ: تأمَّله وتفكّر فيه على مَهَلٍ، ونظر في عاقبته، تدبَّر أمرَه بنَفْسه- الحكيم يتدبَّر في الأمور قبل إتيانها (عمر، 2008: 1/ 720)، والتَّدَبُّر في الأمر أن تنظرَ إلى ما تَؤُول إليه عاقبتُهُ، والتَّدَبُّر: التَّفَكُّرُ فيه (ابن منظور، 1374: 4/ 273)، و(تَدَبَّرَ) الأَمْرَ أي: نظر فيه وفكَّر (مجمع اللغة العربية، 1989: 1/ 420)، وفي الكتاب العزيز: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾(المؤمنون: 68) أي: أَلم يتفهَّموا ما خُوطِبُوا به في القرآن، وكذلك قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾(النساء: 82) أي: أفلا يَتَفَكَّرُون فيَعتبِروا، فالتَّدَبُّر هو التَّفَكُّر والتَّفَهُم (الزبيدي، د.ت: 11/ 266)، والتَّدَبُّر أي: استغراق الذّهن في التَّفكير في موضوع إلى حدٍّ يجعله يغفل عن الأشياء الأخرى، وتصرّف القلب بالنَّظر في الدلائل (عمر، 2008: 1/ 720).

ورد التَّدَبُّر في القرآن الكريم في أربع آيات كلها تدعو إلى تدبر إعجاز هذا الكتاب المبين، إذ دعا الله – عز وجل– إلى التَّدَبُّر في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾(سورة ص: 29)، وفي بقية الآيات تنعى الذين لا يتدبرون القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ (محمد: 24)، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ (النساء: 82)، وقوله: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾(المؤمنون: 68).

7- لفظ (التَّفَقُّه) ومشتقاته

اشتق لفظ التَّفَقُّه: من المصدر اللغوي (فقه) و(إفقاهٌ)، ويدلُّ على إدراكِ الشيءِ والعلم به (ابن فارس، د.ت: 4/ 442)، وهو العلم بالشيء والفهم له، يقال: فقه الرجل فقاهة إذا صار فقيها، وفقه أي: فهم فقهًا، وقد غلب الفقه على علم الدين لذلك اصطلح العلماء على أن الفقه هو العلم بأحكام الشريعة (الزبيدي، د.ت: 36/ 456؛ ابن منظور، 1374: 13/ 522). وقد وردت مادة فقه في القرآن الكريم في عشرين موضعًا على النحو الآتي:

اللفظ	العدد
يَفْقَهُون	13 مرة
يَفْقَهُوهُ	3 مرات
لِيَتَفَقَّهُوا	مرة واحدة
نَفْقَه	مرة واحدة
يَفْقَهُوا	مرة واحدة
تَفَقَّهُون	مرة واحدة

والفقه وظيفة من وظائف القلب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾(الأعراف: 179) إلا أن الكافرين عطلوا هذه الوظيفية، فجاءت معظم الآيات التي ذكرت الفقه بوصفها وظيفة من وظائف القلب ناعية للكافرين على تعطيلهم لعقولهم عن فقه أوامر الله والإيمان بها والاستجابة لها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾(الأنعام: 65) فالتَّفَقُّه خطوة عقلية أبعد مدى من التفكير، إذ هي الحصيلة التي تنتج عن عملية التفكير وتجعل الإنسان أكثر وعيًا لما يحيط به، وأعمق إدراكا لأبعاد وجوده، وعلاقته في الكون تجعله متفتح البصرية دومًا (خليل، 1983، ص 94).

8- لفظ (الاعْتِبَار) ومشتقاته

وهو من العَبْر ويعني: «التجاوز من حال إلى حال» والاعْتِبَار والعِبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس مشاهد (الراغب الأصفهاني، 1412، ص 320).

فقد دعا القرآن الكريم إلى الاعْتِبَار بقصص الأقوام السابقين ومواقفهم من رسلهم إذ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي﴾(يوسف: 111).

ودعا القرآن الكريم إلى التَّفَكُّر في الظواهر الكونية لأخذ العبرة والعظة إذ قال الله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾(النور: 44).

من خلال ما سبق عرضه من نظائر ألفاظ (التَّفَكُّر) في القرآن الكريم يتضح أن هذه الألفاظ، على تباين صيغها ودلالاتها، تشترك في غاية واحدة وهي تحريك العَقْل والقلب معًا نحو إدراك الحقائق والاعْتِبَار بآيات الله الكونية والشرعية. فـ(العَقْل) يمثل الوظيفة الأساس لإدراك المعاني وربط الأسباب بالمسببات، و(النَّظَر) و(الرؤية) مدخلان حسيان يُمهّدان للتأمل والتَّدَبُّر. أما (التَّبَصُّر) فهو انتقال من البصر إلى البصيرة، و(التَّذَكُّر) عملية استحضار للمعرفة ومزاوجتها بالعظة، في حين يعبّر (التَّدَبُّر) عن التعمق في دلالة النصوص ومآلاتها، ويتجاوز (التَّفَقُّه) حدود المعرفة السطحية إلى فهم الأحكام وإدراك عللها، ليكتمل ذلك في (الاعْتِبَار) الذي هو ثمرة التجربة الإنسانية والتأمل التاريخي والكوني.

وعليه تمثّل هذه الألفاظ **مراتب متكاملة** تبدأ من الملاحظة الحسية، وتمتد إلى النَّظَر والتَّفَكُّر والتَّدَبُّر، وتنتهي إلى الفقه والعبرة، وبذلك تتدرج بالإنسان من مستوى الإدراك الجزئي إلى مستوى الوعي الشامل الذي يُثمر الهداية والإيمان والعمل الصالح.

المطلب الثاني: مراتب التَّفَكُّرِ في القرآن الكريم

تنزيلًا للمقتضيات اللغوية السابقة يمكن تصنيف مراتب التَّفَكُّر في القرآن الكريم إلى مراحل سُلمِيّة تراتبية؛ بحيث تأتي أولى مراحل التَّفَكُّر **بالنَّظَر** وهو تقليب البصر والبصرية لإدراك الشيء ورؤيته ثم **الرؤية**، ثم **التبصرة** وهو النَّظَر بالقلب، ثم **التَّذَكُّر** هو محاولة النفس استرجاع ما زال من معلومات، ثم **التَّدَبُّر** فيما يكون في عاقبة الأمر، حتى نصل إلى **التَّفَقُّه** إذ هو الحصيلة التي نتجت عن عملية التفكير، ووسيلة الإنسان بذلك هو **العَقْل** الذي يتوصل بها إلى العلم والتَّذَكُّر والتَّفَقُّه والتَّفَكُّر... إلخ، وبدون العَقْل يكون الإنسان عاجزًا عن إدراك الأمور ويسقط عنه التكليف.

ويلاحظ أن السياق القرآني يحدد الغاية من كل مرحلة بناءً على الموقف المطلوب:

- أحيانًا يُطلب استخدام العَقْل لإدراك المراد.
- وأحيانًا يُستدعى البصر والسمع للوصول إلى المراد الإلهي.
- وأحيانًا يُطلب التَّذَكُّر إذا كان الأمر قد بُيّن سابقًا.
- وأحيانًا يُستدعى التَّفَقُّه إذا كان الأمر يحتاج إلى تعمق وفهم أعمق.

فضلًا عن أن هذه العمليات في كثير من الآيات مترابطة، إذ جمعت بين أكثر من آيتين في مشهد واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣﴾(النحل: 10 -13)، فجمعت هذه الآيات بين (التَّفَكُّر، والعَقْل، والتَّذَكُّر).

أما في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾(سورة ص: 29) فقد جمعت هذه الآية بين عمليتين من عمليات التَّفَكُّر وهي (التَّدَبُّر والتَّذَكُّر).

وقد تتعدد ألفاظ التَّفَكُّر في موضوع واحد ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٥٧﴾ (الكهف: 57) وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ (محمد: 24)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤١﴾ (الإسراء: 41) فنجد أن في موضوع كتاب الله (القرآن الكريم) تعددت العمليات العقلية للتفكر بين (التَّفَقُّه والتَّدَبُّر والتَّذَكُّر).

ومن ذلك دعوة القرآن الكريم للتفكر في خلق السماوات والأرض فقد قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ (آل عمران: 191) وفي آية أخرى قال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

اللهُ مِن شَيْءٍ...﴾ (الأعراف: 185) وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ (يونس: 3)، فقد تعددت ألفاظ الدعوة للتفكر في خلق السماوات والأرض بين (التَّفكُّر، والنَّظَر، والتَّذكُّر).

خلاصة القول: يتضح أن القرآن الكريم يستعمل ألفاظ التَّفكُّر وفق السياق الكلامي والدلالات اللغوية قبل المبنى اللفظي:

- التَّفكُّر: إعمال الفكر نفسه.
- العَقْل: إدراك ما يُدرك بالعقول السليمة.
- العلم: مجرد المعرفة بالأمور.
- التَّدَبُّر: التفكير في العواقب والنتائج.
- الفقه: الفهم العميق واستنباط العبر.
- السمع والبصر: استحضار الأمور المشاهدة أو المسموعة.
- التَّذَكُّر: استدعاء ما حفظه العقل من العبر والدروس (المجالي، 2005، ص 85).

النتائج:

تقصتْ هذه الدراسة لفظة «التَّفكُّر» ومشتقاتها، والنظائر اللفظية لها الواردة في القرآن الكريم، وتتبعتْ دلالاتها السياقية للكشف عن معناها اللغوي، وبيان ما انطوت عليه من دلالات أسلوبية إمتاعية وإقناعية. وبعد هذه الجولة يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- تدل لفظة «التَّفكُّر» في اللغة على إعمال العقل، والتَّدَبُّر، والتأمل، وطول النَّظَر، والتذكرة والموعظة.

2 - وردت لفظة «التَّفكُّر» ومشتقاتها في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي ذاته، غير أن السياق القرآني أضفى عليها دلالات أوسع، تمثلت في:

- التَّفكُّر في حال النفس.
- التَّفكُّر في الآيات الكونية.
- التَّفكُّر في آيات الوحي والتنزيل.
- التَّفكُّر في السنن الاجتماعية.

3- تنوعت الأساليب البلاغية القرآنية في الحثّ على التَّفكُّر، فجاءت بصيغ متعددة مثل: الأمر المباشر وغير المباشر، والاستفهام، والقَسَم بالمخلوقات، وذمّ الذين يعطلون عقولهم، فضلًا عن ضرب الأمثال.

4- من أبرز النظائر اللفظية لـ «التَّفكُّر» في القرآن الكريم: «العَقْل»، و«النَّظَر»، و«الرؤية»، و«التَّبَصُّر»، و«التَّذَكُّر»، و«التَّدَبُّر»، و«التَّفَقُّه»، و«الاعْتِبَار».

5- تظهر فروق دلالية دقيقة بين هذه الألفاظ، يمكن عدّها بمثابة مراتب للتفكر في القرآن الكريم؛ تبدأ بالنَّظَر، ثم الرؤية، ثم التَّبَصُّر، ثم التَّذَكُّر، ثم التَّدَبُّر، ثم التَّفَقُّه، ويظل «التَّعَقُّل» جامعًا ووسيلة لإدراك تلك المراتب.

6- يتحدد المعنى السياقي لكل لفظة على النحو الآتي: فإذا جاء «**التَّفَكُّر**» كان للدلالة على إعمال الفكر العميق، أما «**التَّعَقُّل**» فيتصل غالبًا بالأحكام الشرعية، و«**التَّدَبُّر**» يركز على عواقب الأمور ومآلاتها، و«**التَّفَقُّه**» على الاستنباط والفهم، و«**السمع**» على تلقي أخبار السابقين، و«التَّبَصُّر» على إدراك المحسوسات، و«**التَّذَكُّر**» على استحضار العِبَر الماضية.

وبذلك يتضح أن القرآن الكريم قد منح لفظة «التَّفَكُّر» ومشتقاتها، ومعها الألفاظ النظيرة، أبعادًا دلالية متكاملة، ترسم منهجًا ربانيًّا في تحريك العقل والوجدان معًا، ليبقى التَّفَكُّر وسيلة لفهم النفس والكون والوحي، ولتحقيق الهداية والرشد.

المراجع

الراغب الأصفهاني، ا. (1412). *المفردات في غريب القرآن* (صفوان عدنان الداودي، تحقيق؛ 1)، دار القلم، والدار الشامية.

البديرات، ب. الحمايدة، ز. (2023). *ألفاظ الحرية في القرآن الكريم، دراسة دلالية*. مجلة جامعة الحسين بن طلال، (1)، 1-44.

البيضاوي، ع. (د.ت). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل: تفسير البيضاوي*، دار الفكر.

الجرجاني، ع. (1985). *التعريفات*. مكتبة لبنان.

الجزائري، ج. (2003). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير* (ط.5). مكتبة العلوم والحكم.

الجكني، م. (1995). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، دار الفكر للطباعة والنشر.

حوى، س. (1424). *الأساس في التفسير* (ط.6). دار السلام.

أبو حيان الأندلسي، م. (د.ت). *البحر المحيط*، النصر الحديثة.

حقي، إ. (د.ت). *روح البيان*. دار الفكر.

خليل، ع. (1983). *مدخل إلى موقف القرآن من العلم* (ط.1). مؤسسة الرسالة.

خنايشة، ع. (2009). *التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم* [رسالة ماجستير غير منشورة]، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

الرازي، م. (1421). *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب* (ط.1). دار الكتب العلمية.

الرماني، ع. (1976). *النكت في إعجاز القرآن* (محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، تحقيق؛ ط.3)، دار المعارف.

الزبيدي، م. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. دار الهداية.

الزجاج، إ. (1994). *معاني القرآن وإعرابه* (عبد الجليل عبده شلبي، تحقيق؛ ط1). دار الحديث.

ابن فارس، ا. (د.ت). *معجم مقاييس اللغة* (عبد السلام محمد هارون، تحقيق، دار الكتب العلمية.

الطبراني. (1995). *المعجم الأوسط* (أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، تقحيق). دار الحرمين.

آل طلحان س. م. س. (2024). مستوى مهارات التفكير العلمي لدى طلاب الصف الثاني المتوسط من وجهة نظر معلمي العلوم. *مجلة الآداب، 12* (3)، 135–171. https://doi.org/10.35696/arts.v12i3.2095

عمر، أ. م. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة* (ط.1). عالم الكتب.

عوض، س. وعكرمة، هـ. (2006). *الوظيفة الدلاليّة في ضوء مناهج اللسانيات*. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية. سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية. 28(1)، 163-185.

فارع أ. ع. أ. (2020). اكتساب مهارات التفكير الناقد* وعلاقتها بمهارة اتخاذ القرار لدى خريجي المعهد الأمريكي يالي في اليمن (دراسة حالة). *مجلة الآداب، 1* (17)، 7–56. https://doi.org/10.35696/.v1i17.690

الفيومي، أ. (د.ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* (عبد العظيم الشناوي، تحقيق). دار المعارف.

الكفوي، أ. (1998). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية* (عدنان الدرويش ومحمد المصري، تحقيق؛ ط.2). مؤسسة الرسالة.

المجالي، م. (2005). مصطلح التَّفَكُّر كما جاء في القرآن الكريم- دراسة موضوعية. *مجلة جامعة الإمارات العربية المتحدة*، (23)، 21-94.

مجمع اللغة العربية المصري. (1393). *المعجم الوسيط* (ط.2). دار المعارف.

مجمع اللغة العربية. (1989). *المعجم الوجيز*. مجمع اللغة العربية.

معمار، ص. (2006). *علم التفكير* (ط.1). دار ديبونو للطباعة والنشر.

المناوي، م. (1409). *الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي* (أحمد مجتبى. تحقيق؛ ط.1). دار العاصمة.

ابن منظور، م. (1374). *لسان العرب*. دار صادر.

نخبة من أساتذة التفسير. (2009). *التفسير الميسر* (ط.2). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

النسفي، ع. (1998). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)* (يوسف علي بديوي، تحقيق) (1). دار الكلم الطيب.

الواحدي، ع. (1994). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد* (عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.

References

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, A. (1412 AH). *Al-mufradāt fī gharīb al-Qurʾān* [Vocabulary of the Qurʾan] (Ṣ. A. al-Dāwdī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Qalam; al-Dār al-Shāmiyyah.

Al-Budayrāt, B., & al-Ḥamāyidah, Z. (2023). *The semantics of freedom terminology in the Holy Qurʾan*. Hussein Bin Talal University Journal, 1, 1–44.

Al-Bayḍāwī, ʿA. (n.d.). *Anwār al-tanzīl wa-asrār al-taʾwīl* [The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation]. Dār al-Fikr.

Al-Jurjānī, ʿA. (1985). *Al-taʿrīfāt* [Definitions]. Maktabat Lubnān.

Al-Jazāʾirī, J. (2003). *Aysar al-tafāsīr li-kalām al-ʿalī al-kabīr* [The Easiest Exegesis of the Noble Speech] (5th ed.). Maktabat al-ʿUlūm wa-al-Ḥikam.

Al-Jiknī, M. (1995). *Aḍwāʾ al-bayān fī īḍāḥ al-Qurʾān bi-al-Qurʾān* [Lights of Elucidation]. Dār al-Fikr.

Ḥawwā, S. (1424 AH). *Al-asās fī al-tafsīr* [The Foundation of Exegesis] (6th ed.). Dār al-Salām.

Abū Ḥayyān al-Andalusī, M. (n.d.). *Al-baḥr al-muḥīṭ* [The Comprehensive Ocean]. al-Naṣr al-Ḥadīthah.

Ḥaqqī, I. (n.d.). *Rūḥ al-bayān* [The Spirit of Interpretation]. Dār al-Fikr.

Khalīl, ʿA. (1983). *An introduction to the Qurʾanic perspective on science* [Madkhal ilā mawqif al-Qurʾān min al-ʿilm] (1st ed.). Muʾassasat al-Risālah.

Khanāyshah, ʿA. (2009). *Thinking and its development in the light of the Qurʾan* [Master's thesis, An-Najah National University].

Al-Rāzī, M. (1421 AH). *Al-tafsīr al-kabīr aw mafātīḥ al-ghayb* [The Grand Exegesis] (1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Rummānī, ʿA. (1976). *Al-nukat fī iʿjāz al-Qurʾān* [Remarks on the Inimitability of the Qurʾan] (M. Khalaf Allāh & M. Z. Sallām, Eds.; 3rd ed.). Dār al-Maʿārif.

Al-Zabīdī, M. (n.d.). *Tāj al-ʿarūs min jawāhir al-qāmūs* [The Crown of the Bride]. Dār al-Hidāyah.

Al-Zajjāj, I. (1994). *Maʿānī al-Qurʾān wa-iʿrābuhu* [Meanings and Parsing of the Qur'an] (ʿA. J. Shalabī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Ḥadīth.

Ibn Fāris, A. (n.d.). *Maʿjam maqāyīs al-lughah* [Dictionary of Language Measures] (ʿA. S. Hārūn, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Ṭabarānī. (1995). *Al-muʿjam al-awsaṭ* [The Middle Lexicon] (T. ʿA. ʿA. Allāh & ʿA. I. al-Ḥusaynī, Eds.). Dār al-Ḥaramayn.

Aal Talhan, S. M. S. (2024). Level of Scientific Thinking Skills Among Second Intermediate Grade Students from the Perspective of Science Teachers. *Journal of Arts, 12*(3), 135–171. https://doi.org/10.35696/arts.v12i3.2095

ʿUmar, A. M. (2008). *Al-muʿjam al-ʿArabī al-muʿāṣir* [Modern Arabic Dictionary] (1st ed.). ʿĀlam al-Kutub.

ʿAwaḍ, S., & ʿIkrimah, H. (2006). *Semantic function in light of linguistic methodologies*. Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research, 28(1), 163–185.

Farae, A. A. A. . (2020). Acquiring critical* thinking skills and their relationship to decision-making skill among graduates of the American Institute (YALI) in Yemen: A case study. *Journal of Arts, 1*(17), 7–56. https://doi.org/10.35696/.v1i17.690

Al-Fayyūmī, A. (n.d.). *Al-miṣbāḥ al-munīr fi gharīb al-sharḥ al-kabīr* [The Illuminating Lamp] (ʿA. al-Shannāwī, Ed.). Dār al-Maʿārif.

Al-Kafawī, A. (1998). *Al-kulliyyāt: A dictionary of linguistic terms and distinctions* [Al-kulliyyāt] (ʿA. al-Darwīsh & M. al-Miṣrī, Eds.; 2nd ed.). Muʾassasat al-Risālah.

Al-Majālī, M. (2005). *The concept of contemplation in the Qur'an: An objective study*. UAE University Journal, 23, 21–94.

Academy of the Arabic Language (Egypt). (1393 AH). *Al-muʿjam al-wasīṭ* [The Intermediate Dictionary] (2nd ed.). Dār al-Maʿārif.

Academy of the Arabic Language. (1989). *Al-muʿjam al-wajīz* [The Concise Dictionary].

Miʿmār, Ṣ. (2006). *The science of thinking* [ʿIlm al-tafakkur] (1st ed.). Dār Dībūnū.

Al-Manāwī, M. (1409 AH). *Al-fatḥ al-samāwī bi-takhrīj aḥādīth al-Bayḍāwī* (A. Mujtabā, Ed.; 1st ed.). Dār al-ʿĀṣimah.

Ibn Manẓūr, M. (1374 AH). *Lisān al-ʿArab* [The Tongue of the Arabs]. Dār Ṣādir.

A group of Qur'anic scholars. (2009). *Al-tafsīr al-muyassar* [The Facilitated Tafsīr] (2nd ed.). King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an.

Al-Nasafī, ʿA. (1998). *Madārik al-tanzīl wa-ḥaqāʾiq al-taʾwīl* [Exegesis of al-Nasafī] (Y. ʿA. Badiwī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Kalim al-Ṭayyib.

Al-Wāḥidī, ʿA. (1994). *Al-wasīṭ fi tafsīr al-Qurʾān al-majīd* [The Middle Exegesis] (ʿA. ʿA. ʿAbd al-Mawjūd et al., Eds.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.